رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن يتحدى

تأليف
سليم الهلالي
عفا الله عنه

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن يتحدى

تأليف

سليم الهلالي
عفا الله عنه

تطلب منشوراتنا من
دار عمار للتوزيع والنشر

هاتف : ٦٥٢٤٣٧ — او من صندوق بريد
عمان / الاردن — ٥٠٧٧ / الزرقاء

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعـــة الأولى ١٤٠٦ هـ

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
(١٩٨٥/١٠/٤٢٢)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنا، ومن سَيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، وَمن يُضْلِل فلا هاديَ لَه، وأَشهدُ أن لا إله إلا الله وَحدَه لا شَريكَ لَه، وأشهدُ أن محمداً عَبْدُه وَرسولُه.

أما بعد: فهذه رسالةٌ تُبَيِّنُ مَعالِم النورِ الرَّبَّانِيِّ الذي أَنْزَلَه الله على عَبْده يَهدِي به مَن اتبع رضوانه سُبُل السَّلام، ويُخرجُهم إلى صِرَاط العَزيز الحَميد.

وقد سميتها: «**القرآن يتحدى**» لتكون للدُّعاة عوناً على رَدِّ الأعاصير التي هَبَّت على العالم الإسلامي مِن وراء البِحار تحملُ اسمَ التقدمِ والتجديدِ، إفكاً وزوراً وظُلماً، ويُرَوجُ لها بَيْنَ ظَهْرانينا قومٌ رضوا بِضَحْضاحٍ مِن المعرفة؛ فكان نصيبُهم من بحرِ العلمِ نُغْبَةً، ولكِنَهم يتجَشَّؤون من غيرِ شِبَعٍ، فَيَحسبهم ذو العين الكَليلَة عَمَالِقةً لأنهم يُحْسِنونَ فَنَّ العَرْضِ، ولكنهم إذا دعوا إلى بَحْثٍ علمي ثَنَوا أعْطافَهم؛

لأنهم لا يقوون على التحليق في سماواتِ الجَودة بأجنِحَة من عِلم غَزير وإدراك بصير.

وذلك أن الفُؤاد إذا خلا من جَلال العِلم ووَرع التقوى أضحى كهْفاً خَرِباً تأوي إليه الذئابُ الجائعةُ تفتش عن عِجَافٍ انقطعوا عن القافلة، هِمَمهُم فَتَرَت، وعَزائِمهُم وَهَت؛ لأنهم جمدوا على ما أفادوه في باكورَةِ الصِّبا دونَ رَغْبَة فيه، فاستمرؤوا حَياةَ الكَسَلِ، وطاب لهم العَيْشُ على الدِّمَن، وخُيِّلَ لهم من عَجزِهم أن الأمَّةَ الإسلامية عقمت.

لذلكَ تلزم تصفيةٌ شاملةٌ لطَمسِ آثارِ هذا الفِكر اللقيط الذي يُريدُ للمسلمين أن يرتدوا بالتقسيط.

ولعل هذه الرسالةَ تكونُ عوناً للمسلمين المُخلصين في التَمكينِ للحركة العلمية لتعودَ حضارةُ السلفِ الصالحِ في رَونَقِها واستحكامِها تُفْعِمُ الحياةَ نشاطاً وعملاً دؤوباً، ولن أَبرحَ حتى أَبْلُغَ ذلك أو أَمْضِيَ حُقُبا.

وكتبه طالب العلم الشرعي
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
عفا الله عنه

٢٥/شوال/ ١٤٠٤هـ
الأردن ـ عمان/البلقاء

أصح وثيقة في التأريخ

نَصُّ القرآن المجيد أصح وثيقةٍ وأقـواها في التـأريخ البشـري، تلك قضيةٌ لا يمـاري فيها النـاس على اختلاف مَـذاهبهم، المسلمون يـرون الجـزمَ بصحـةِ القـرآن مَحِلَّه العقيدة، ونقطة الارتكاز في دائرة الإيمان، فمن شك فقـد مرق من الدين، وفارق جماعة المسلمين، أما غير المسلمين ممن لا يدينون دين الحق ولا يُقرون بالإسلام فإنهم بحاجة إلى دليل وبرهان، ومن هذه الناحية لم نـرنصاً تـوافرت لـه عناصر الإثبات كما تضافرت للقرآن، من يوم نزوله إلى يوم الناس هذا.

إن أردت أسلوبَ التلقي وطريقَ التوثيق فحـدث عن الدقة ولا حرج، فمن حفظ في الصدور، ونقل في السطور، إلى التحري في جميع الأمور.

لقد كان للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ شَرَفُ توثيقِ النصِ القرآنيِّ المعجزِ، ثم التابعين ثم لمَن بعدهم جيلاً

بعد جيل حتى وصلنا كاملاً غير منقوص ؛ فالمسلم يقرأ القرآنَ مطمئنَ البالِ كيومِ أُنزل ، وظل بقلوب المؤمنين وأعينهم ، وكانوا حراساً عليه قراءة وكتابة وهذا لا يختص بطائفة دون أخرى فهو واجبٌ إسلاميٌ عامٌ ، وإن كانت مسؤولية أهل العلم أشدَ فهم أبصرُ الناسِ بالحق والصواب .

ولا يزال القرآنُ كيوم أُنزل أصح وثيقةٍ تتداولها البشرية . لم تستطع أن تمتد إليها يدُ عابثٍ بتصحيف ، ولا عقلُ أفاكٍ بتحريف ، إلا تصدى له حملةُ العلم الشريف ، وميزوا الحقَ من الزَّيف ، تحقيقاً للوعد الرباني الناطق بالحق والصدق : ﴿إِنّا نحنُ نَزَّلنا الذِّكرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظون﴾ [الحجر : ٩] .

تنزيل من رب العالمين

وثمة أمورٌ أخرى تقطع دابرَ الشَّكِّ، وترتقي بالقلب الى عينِ اليقينِ، وتدحض مزاعم الطاعنين، لأن مَن شك لزمه القول أن القرآن من لدن بشر، فإن كان عربياً فقد عجز أئمة اللغة، وفرسان البلاغة، وجهابذة الفصاحة، أن يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أما الأعجمي فهو بالعجز أولى ففاقد الشيء لا يعطيه، قال عز شأنه: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُم يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلحِدونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ**﴾ [النحل : ١٠٣].

وإن كان مشركاً فمن المستحيل أن يُسَفِّهَ نَفْسَهُ، ويَدحَضَ حُجَتَهُ، وَيَتَهَكَّمَ من معبوداته، وَيَقْدَحَ في مُعتقداتِه، أما أهل الكتابِ فقد هُتِكَت أستارُ عقائدهم؛ فَظَهَرَ تحريفُ كُتُبِهِم، وتحقق المنصف أنهم ليسوا على شيء.

وإن كان ساحراً فالناسُ أمامَ السحرِ سواءٌ، فاقدو الإرادة، الا أن الإسلامَ لم يُكرِهِ الناسَ حتى يكونوا مُؤمنين، قال عز وجل: ﴿فَمَن شاءَ فَلْيُؤمِن وَمَن شاءَ فلْيَكْفُر﴾ [الكهف: ٢٩]

لأنه: ﴿لا إكراهَ في الدّينِ قَد تَبيّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وإن كان محمدٌ ﷺ تَقَوَّلَهُ من تلقاء نَفْسِه ـ وحاشاه ـ فهو الرجلُ الأميُّ الذي لَبث في قومِه حيناً من الدهر لم يُؤثَر عنه شيء من هذه العلوم المَبْسوطَةِ في القرآنِ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وإذا تُتْلى عَلَيهِم آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذينَ لا يَرجونَ لِقاءَنا ائتِ بقرآنٍ غَيرِ هَذا أَو بَدِّلهُ قُل ما يَكونُ لي أَن أُبدِّلَهُ من تلقاءِ نَفْسِي إن أَتَّبِعُ إلّا ما يُوحَى إلَيَّ إني أَخافُ إن عَصَيْتُ رَبّي عَذابَ يومٍ عظيم. قُل لَو شاءَ الله ما تَلَوْتُهُ ولا أَدْراكُم بِهِ فَقَد لَبِثْتُ فيكُم عُمراً من قَبْلِهِ أَفَلا تعقلونَ﴾ [يونس: ١٥-١٦]

وَكوْنُ محمدٍ نبياً أُمِيّاً هو من تمام كَوْنِ ما أتى به معجزاً خارقاً للعادة، ومن تمام أَن تعليمَه أعظمُ من كلِ تعليمٍ، كما قال الله تعالى: ﴿وَما كُنتَ تَتلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتابٍ وَلا تَخُطهُ بِيمينِكَ إذاً لارْتابَ المُبْطلونَ. بَل هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتوا العِلمَ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إلا الظالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩].

فغيره يُعَلِّم ما كتب غَيرُه، وهو يُعَلِّم الناسَ ما يكتبونه، وعَلَّمَهُ الله ذلك بما أوحى إليه.

وهذا أمر لا يعقله إلا العالمون، لأن الإنسان يخرج من ظلمات ثلاث لا يعلم شيئاً، قال الخلّاق العليمَ في كتابه الكريم: ﴿والله أَخرَجَكُم من بُطُونِ أُمهاتِكُم لا تَعلَمُونَ شَيئاً﴾ [النحل: ٧٨].

ثم يبدأ يستقي المعلومات عن طريق الحواس.

قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ لَكُم السَّمْعَ والأبصارَ والأفْئِدَةَ لَعَلَكُم تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

لذلك فهذه الحواس أمانة يجب على الإنسان أن يرعاها حق رعايتها، ويصونها عن الفساد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ولا تقفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إنَّ السَّمعَ والبَصَرَ والفُؤاد كُلُّ أولئك كانَ عَنْهُ مسؤولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولهذا فالإنسان لا يستطيع القول في أي علم بعلم إلا إذا كانت لديه معلومات سابقة حول هذا العلم.

قال العزيز الحكيم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأسماءَ كُلَّها ثُمَ عَرَضْهُمْ عَلى المَلائِكَةِ فقَالَ انبئوني بأسماء هؤُلاءِ إن كُنْتُم صادِقينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلّا مَا عَلَّمْتَنا إنَّكَ أَنْتَ العَليمُ الحَكيمُ. قالَ يا آدمُ انبِئْهُم بأَسْمائِهِم فَلَما أنْبَأَهُم

بِأَسمائِهم قَالَ أَلَم أقُل لَكُم إنّي أَعلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ والأَرضِ وأَعْلَمُ ما تُبدُونَ وَمَا كُنْتُم تَكتُمونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣].

هذه الآياتُ المحكماتُ تشيرُ الى أن المعلوماتِ السابقة لا بُدَّ منها للوصولِ الى المعرفَةِ، فآدمُ عليه الصلاة والسلام عَلَّمه الله الأسماءَ كلَّها فلما عُرِضَت عليه عرفها، بينما الملائكةُ لم يكن ذلك ممكناً لهم، لأن الله لم يُخْبِرْهُم بها، فقالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿سُبحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما عَلَمْتَنا﴾.

وكذلك قصة ابني آدمَ(١) نبأٌ صريحٌ، قال جل شأنه: ﴿.. فَطَوَّعَت لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فقتله فَأَصْبَحَ مِنَ الخاسرين. فَبَعَثَ الله غُراباً يَبْحَثُ في الأرضِ لِيُريَهُ كَيْفَ يُواري سَوْءَةَ أَخِيهِ قال يا وَيْلَتى اَعَجَزْتُ أن اكون مِثْلَ هذا الغراب فأُوَاري سَوْءَةَ أَخِي فأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمينَ﴾ [المائدة: ٣٠-٣١].

لقد حار ابنُ آدمَ واضطرب.. هذا الارتباكُ لأنه لا يملك معلوماتٍ سابقة عن كيفية الدفنِ، فأراد ربك أن يضرب له مثلاً ليُريَه كيفَ يواري سَوْءَةَ أخيه، فحدث ما قص علينا عَلّام الغيوب.

---

(١) أسماء ابني آدم لا تعرف الا بخبر الأنبياء، ولم يصح في ذلك شيء وما تتداوله بعض القصص بأنهما هابيل وقابيل، إنما هو من الاسرائيليات، فتنبه.

إن هذا البيان الربانيَّ لأوضحُ الآياتِ دلالةً على وجوبِ المعلوماتِ السابقةِ ليثمرَ العقلُ البشريُّ .

وهو أمر ثابت بالتجربة مشاهد بالعين ، فلو جئنا برجل لا يفقه في لغة الإنجليز شيئاً ، وألقينا عليه كتاباً بلغة القوم ، وقلنا له : اقرأ ، فإنه سيقول بأعلى صوته : ما أنا بقارىء ولكن اذا علمناه فإنه سيقرأ . وهـذا ما حـدث للرسول ﷺ عنـدما أوحي إليه أولَ مرةٍ فعن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : «**كان أولَ ما بُدِىءَ به رسولُ الله ﷺ من الوحيِ الرُّؤيا الصالحةُ في النَّومِ ، فكانَ لا يرى رُؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ(٢) الصُّبحِ ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ(٣) ، وكان يخلو بغارِ حِرَاءٍ ، فَيَتَحَنَّثُ فيه ـ وهو التعبُّدُ الليالي ذواتِ العَدَدِ ـ قَبْلَ أن يَنزِعَ إلى أهلِه ، وَيَتَزوَّدُ لذلكَ ، ثم يرجـعُ إلى خديجـةَ ، فيتَزَوَّدُ لمثِلها ، حتى جاءَهُ (وفي رواية : فَجِئَهُ)(٤) الحقُّ وَهُوَ في غارِ حِراءٍ ، فجاءهُ الملكُ فقالَ : اقرأ ، قالَ : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فَغَطَّني(٥) حتى بلغَ مني الجَهْدَ ، ثم أرسَلَني ، فقالَ : اقرأ ، قلتُ : ما أنا بقارىء ، قال : فأَخَذَني ، فَغطَّني الثانية ،**

---

(٢) ضوؤه وإنارته . (٣) الخـلوة .

(٤) جاءه بغتة من غير تقدم سبب .

(٥) العَصْرُ الشديدُ والكَبْسُ ، وإنما غَطَّه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا وهذا تأكيدٌ لأُميةِ الرسول ﷺ .

حتى بَلَغَ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأَخَذَني فَغَطَّني الثالِثَةَ، ثم أَرسَلني، فقال: ﴿اقرأ باسمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ. اقرأ وربُّك الأَكْرَمُ﴾ . . . . »(٦)

لقد استخدم الله هذا الأمرَ المعقـولَ الذي تُقِـرُّه كلُ العقولِ، لدَحْضِ شُبَهِ المنكرين، وتَفْنيدِ مزاعمِ الطاعنين، ولله الحجةُ البالغةُ، لقد كانت الأميةُ في حقِ محمدٍ ﷺ دليلاً على صِدقِه، وبرهاناً على نُبُوَته، وشاهداً على رسالتِه، ولله در القائل:

أدلـة في كتـاب الله ظـاهـرة راحت لها شبه الإنكار منكسرة
الحق يعلو ولا يعلى عليه فمن عاداه كانت جنود الله منتصرة

ث ـ لو كان اللاشعورُ مصدراً للقرآن، لثبتت أخـطاءٌ كثيرةٌ في معلوماتِه شأنُها شأنُ جميـع المعلوماتِ البشـريةِ، ولكن العكس هـو الصحيحُ، فـإن كلامَ الله بَريءٌ من هذه العيوبِ التي تَوَّجَت الخبراتِ الانسانيةَ عبرَ العصـورِ، رغمَ اتصالِ القرآنِ بجميع شؤونِ الحياةِ، ولقد مرت سنونَ أبطلَ الآخِرون ما ادعاه الأولونَ، وما زال صِدْقُ الكلامِ الإلهيِّ باقياً

(٦) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

محفوظاً لم يستطع الباطلُ أن يأْتِيَهُ من بين يديه ولا من خلفِه ، وَصَدَقَ مُنَزِّلُ الكتابِ : ﴿أفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ وَلَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ الله لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء : ٨٢] .

منهاج ومعجزة

إن أعظمَ المعجزاتِ وأوضحَها دلالةً القرآنُ الكريمُ، لأنَّ الخوارقَ في العادةِ مغايرةٌ للوحي الذي يتلقاه الأنبياءُ وتأتي المعجزةُ شاهدةً ناطقةً بصدقهم، ومعجزاتُ الرسل الذين ذُكِروا في القرآنِ تختلفُ عنِ الوحي الموحى اليهم، فمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام اليد والعصا وباقي الآيات التسع، ومنهاجُه التوراة، وكذلك ابن مريم عليه الصلاة والسلام مُعجزتُه إحياءُ الموتى واشفاءُ الأكمه والأبرص وأن يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً كلُها بإذنِ الله، ومنهاجُه الانجيلُ.

بينما محمدٌ ﷺ معجزتُه ومنهاجُه القرآنُ الكريمُ، إذن فالقرآنُ الكريمُ دَلالتُه في نَفْسِه لا يفتقرُ إلى غيرِه من الأَدِلَةِ الخارجيةِ، فهو أوضحُ دلالةً لكونه الدليلَ والمدلولَ عليه، فهو برهانٌ قائمٌ بذاته، وهذا ما أشار إليه الصادقُ المصدوقُ ﷺ: **«ما مِن الأَنبياءِ مِن نَبيٍ إلا قَد أعطيَ من الآياتِ ما مِثلُه**

آمَنَ عليه البشرُ، وإنَّما كان الذي أوتيتُ وحياً اوحى الله اليَّ، فأرجو أَن أكونَ أكثَرَهُمْ تابعاً يومَ القيامَة»(٧).

لقد فرق القرآن بين عهدين من عهود البشرية: عهد المعجزات التي تخالفُ الناموسَ الكونيَّ، وتنتهي بانتهاء زمانِها ومكانِها، وعهدِ المعجزة التي تسايرُ نظامَ الحياةِ، وتخاطبُ العقلَ، وتوجه الحديثَ والخطاب لأولي الألباب.

ونحن معشرَ المسلمين نؤمنُ بتلكَ المُعجزات ـ التي لم نَرَها ـ عن طريقِ القرآنِ الذي نَعتقدُ ما أتى به جملةً وتفصيلاً، فأمرُ القرآن عظيمُ وشأنُه ذو بالٍ، فهو برهانٌ بذاتِه، حجةٌ على غيرِهِ، دليلٌ لغيرِه، لذلك كان مصدقاً لما بين يَديه من التوراة والانجيل ومُهَيمناً عليه.

فَهلاَّ أَخَذَتِ الأمةُ المحمديةُ الكتابَ بقُوةٍ، وَعَضتْ على الإسلامِ بالنَواجِذِ، لتكونَ خيرَ أمةٍ أُخْرِجَت للناسِ؟

وهذه الحقيقةُ أساسٌ لعقائد هي في الإسلامِ أصولٌ لا يصحُ إيمانُ المرءِ دونَها: كختمِ الرسالةِ بمحمدٍ ﷺ، وعمومِ الرسالةِ المحمديةِ إلى العالمين كافةً، وخلودِها إلى أن يشاء الله. ويعود ذلك إلى أمرين هامين:

---

(٧) أخرجه الشيخان وأحمد.

١ ـ أن القرآن الكريمَ كلامُ الله منه بَدأَ، وإليه يعودُ(٨).
ففي آخر الزمان يرفع القرآن من الصدور والسطور.

٢ ـ أنَّ الله لم يترُك حِفظَ الإسلامِ للبشرِ لأنهم جُرِّبوا في الكتبِ السابقةِ فحرفوا الكلمَ عن مواضِعِه من بعد ما عَقلوه تحريفاً أبطلَ مهمةَ المنهج فيها، لذلك تعهدَ الله أن يحفظَ الذِّكرَ بِنَفْسِه، وَكفى بالله حفيظاً.

ومتى كانت المعجزة بهذه المنزلةِ من الوضوحِ، وقوةِ الدلالةِ كان المصدقُ بها أكثرَ، وأثرُها في الحياةِ أكبرَ، وأمةُ الإسلامِ أكثرُ الأممِ تصديقاً بنبيها، ورسولُهم ﷺ اكثرُ الرسلِ تبعاً يومَ القيامةِ، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه لَأطمعُ أن تكونوا شطرَ أهلِ الجَنَّةِ**»(٩).

---

(٨) جاء هذا في حديثِ حذيفة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «يَدرُسُ الإسلامُ كما يَدْرسُ وَشيِ الثوبِ، حتى لا يدرى ما صِيامٌ ولا صَلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صَدَقَةٌ، ولَيُسْرى على كِتابِ الله عزَّ وَجلَّ في لَيْلةٍ فلا يَبْقى في الأرض مِنهُ آيَةٌ، وتَبْقى طَوائِفُ من النَّاس: الشَّيخُ الكَبيرُ والعَجوزُ، يقولون: أدركنا آباءَنا على هذهِ الكَلِمَةِ: لا إله إلا الله. فنحن نَقولُها».

قلت: أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤) والحاكم (٤/٤٧٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي والألباني.

وما رَفْعُ القرآن الا عودته إلى منزله، وذلك تَمهيدٌ لقيام الساعة على شرار الناس الذين لا يعرفون من الإسلام شيئاً، حتى توحيده!! فيارب إذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضنا إليك غير مفتونين، ويا ولي الإسلام وأهله ثبتنا به حتى لقائك.

(٩) أخرجه مسلم

القرآن والعلم

إنَّ من أغربِ ما يواجهُ الداعي إلى الله على هدى وبصيرةٍ قومٌ ركَنوا إلى الجهلِ يهرِفونَ بما لا يعرفون، ويُلَحِّنونَ لأساطيرَ أضخمَ مِن جبالِ الهمالايا لكنها أرفعُ من أعوادِ الخَيْزُرانِ، فإذا بلغ أحدُهم درجةً سفلى في سُلمِ العِلمِ ظنَّ أنَّهُ تُـرَبَعَ عـلى عرشِ البحثِ وسيطرَ على عالَمِ التجربَةِ، فأصبح يلقي الكلامَ على عواهِنِه، ويطلقُ الأحكامَ جُزافاً، فإذا هم يعتقـدونَ أنَّ العلمَ بؤرةُ الكفرِ، وينبوعُ الجحودِ، ومعينُ الإنكارِ والإلحادِ، وليتهم وقفوا عندَ هذا الحدِّ، بل قال أمثلهم طريقةً: إن تفسير القرآن بالعلم لظلمٌ عظيمٌ!!

إنَّ تفسيرَ القرآن بحقائق العلم الذي اشْتَدَّ الجدلُ حولَه ليس وَليدَ هذا العصرِ بل تَضْرِبُ جذورُه إلى زَمنٍ ليسَ بقريبٍ، وما يَتَرَدد من نقاشٍ وحوارٍ هو امتدادٌ لما حَدَثَ في المـاضي، حيثُ افترقَ العلماءُ إلى مؤيد يزعمُ أنَّ القرآنَ حوى علومَ الأولينَ والآخرين، كالغزالي رحمه الله الذي قال في «جواهر القرآن»

(ص٣٢-٣٤) : «ثم هذه العلومُ ما عَدَدْنا وما لم نعُدَّ لَيست في أوائِلها خارجةً عن القرآنِ ، فإنَّ جميعها من بحرِ الأفعالِ وقد ذَكَرْنا أَنَّهُ بحرٌ لا ساحلَ لَهُ» .

وجاء الرازي ونقل أفكار الغزالي إلى حيز التطبيق العملي في تفسيره «مفاتح الغيب» ، ويقول الزركشي ـ رحمه الله ـ في «البرهان في علوم القرآن» (٢/٢٥) : «ومن هذا الوجهِ كلُ مَنْ كانَ حظُّه في العُلوم أوْ فَر كانَ نصيبُه من علمِ القرآنِ أكثرَ» ، وأكد هذا الاتجاه وباركَهُ السيوطيُ ـ رحمه الله ـ في «الاتقان في علوم القرآن» (٢/١٢٩) : «وأنا أقول قد اشتمل كتابُ الله العزيزُ على كل شيء أما أنواعُ العلوم فليس منها بابٌ ولا مسألةٌ هي أصل إلا وفي القرآن ما يَدُلُّ عليها» .

ومعارضٌ يرى هذا اللون على إطلاقه من بدعِ التفاسيرِ كالشاطبيِّ ـ رحمه الله ـ في «الموافقات» (٢/٧٩-٨٢) : «إنَ كثيراً من الناسِ قد تجاوَزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ ، فأضافوا إليه كلَ علمٍ يُذْكَرُ للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيَّات ، والتَّعاليم ، والمَنْطِقِ ، وعِلمِ الحروفِ ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنونِ وأشباهِها .

وهذا اذا عَرَضناهُ على ما تَقَدَم لم يَصِحَّ ، وإلى هذا فإنَّ السلفَ الصالحَ مِن الصحابةِ والتابعين ومن يليهِم ، كانوا

أعرف بالقرآنِ وبعلومه وما أودِعَ فيه، ولم يبلغْنا أنّه تكلمَ أحدٌ منهم في هذا الشيء المدَّعى».

إن مقالةَ المبيحين على إطلاقها ضربٌ من عدمِ الإحاطةِ بطبيعةِ المنهجِ الربَّانيِّ الذي أنـزله الله هـدى ورحمةً للنـاسِ ومنهاجَ حياةٍ يهدي للتي هي أقومُ، لا كتابَ علمٍ تجريبي يفصلُ ما جهل الناسُ من علومِ الأرضِ لذلك لا يصحُّ التكلفُ في فهم كتابِ الله وتحميله مالا حاجةَ له بهِ من العلوم الكونية. والإسرافُ في الحَظر غلوٌ في التصوُّرِ، لأنَّ القرآن يمسُّ حقائقَ الوجود على أنها موجودةٌ، وليسَ كتاباً علمياً يشرحُ علوماً شتى، بل إنَّه لَيَمُرُّ على الحقائق فيقَرِرُ خُلاصتها الثابتَةَ، ويتركُ للعقلِ البشريِّ مجالَ الاكتشافِ والمقارنةِ، ليتوصلَ إلى ما أثبته القرآنُ من قبلُ، فَيستَشِفَّ حينئذٍ عظمةَ الخالِق، ويعلمَ أنَّ القرآن من لَدُن حكيمٍ حميدٍ، فينصاعَ لمنهجِهِ الخالد المسكوبِ بالأسلوبِ القرآنيِّ المعجزِ: **﴿سَنُرِيهم آياتِنـا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِكَ أَنَّهُ عَلى كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾** [فصلت: ٥٣].

إن القرآنَ لا تنقضي عجائِبُهُ، ولا يَخْلَقُ من كَثْرَةِ الرَدِّ، ولا تَمَلُّهُ العلماءُ، لأنَّه يميرُ العقـلَ المسلمَ بغذائـه في كل آنٍ، فَدوحَةُ القرآن الباسقةُ، تُظَلِّلُ واحـةَ الإيمانِ التي يَـرتوي من

فيضها العذبِ الزُّلالِ العطشى الـذين ضلَّتْ بهمُ السُّبُلُ في بَيْداءِ الفكرِ البشريِّ المجدبةِ حيثُ ينقلُونَ خُطاهُم على الرمالِ المحرقَةِ، وتحتَ وهج الشمسِ الملتهبةِ، يكتالون الـريحَ من كلِ صَوْبٍ، قد أَضناهُمُ السَّفَرُ، وهَدهُمُ اللُّغوبُ، كيف بهم وهو يستقبِلُونَ واحةً خصبَةً، وارِفَةَ الظِّلالِ، رقراقةَ النَبْعِ، نديةَ النَّسيمِ، تَتَحدّى الجَوَّ القاسي من حولِها بما تَنْفُثُ من عطر يعبقُ أرجاءَ الوجودِ، ثم هم بعدَ وعثاءِ السَّفَرِ، وكآبةِ المَنْظَرِ، وَمشقَـةِ الطريق، يُلقـونَ بأنفسهم في أحضـانِ تلكَ الواحـةِ الفَيْنـانَـةِ، يَتَقَلَّبـونَ في أَفْـوافٍ من روحٍ وريحـانٍ. والمسلمُ لا يَفِرُّ منَ العلمِ ظاناً أنهُ ينازعُ الإسلامَ، بل يزدادُ إيماناً عند ما يرى العلمَ الصحيحَ يوافقُ الدينَ الصحيحَ الصريحَ، وحَسْبُ القرآنِ أنَّهُ يمكنُ التوفيقُ بينه وبينَ ما جَدَّ وما يجدُّ من حقائق تقوم على أساسٍ من الحقِّ، وتستندُ إلى أصلٍ صحيحٍ، والواقع أكبر برهانٍ إذ لا تعارضَ بينَ العلمِ والقرآنِ بل هما صنوان، وإن شِئْتَ فَقُل: توأمانِ وفي ضوْءِ ما سبقَ يجبُ التفريقُ بينَ مسألتين هما:

١ ـ الظاهرةُ العلميةُ.
٢ ـ النظريةُ العلميةُ.

فالظاهرةُ العلميةُ مما لا يتغيرُ لأنَّها سننُ الله في الكوْنِ:

﴿فَلَنَ تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تبديلاً ولن تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تحويلاً﴾ [فاطر: ٤٣].

أما النظريةُ العلميةُ فهي شرحٌ للظاهرة العلمية وهي مما يتغيرُ، والقرآنُ يشيرُ إلى الظواهر العلميةِ لا النظرياتِ العلمية.

ولقد وَرَدَتْ في ثنايا الكتابِ العزيزِ آياتٌ اتخَذَتِ الظواهر العلميةَ دليلاً لإثبات صحةِ الكتابِ وأَنَّهُ من لدن قيومِ السماواتِ والأرضِ.

١ ـ قال جل جلاله: ﴿والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ. والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وما هُوَ بالهزْلِ﴾ [الطارق: ١١-١٤].

٢ ـ وقوله أيضاً: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرونَ. وَمَا لا تُبْصِرونَ. إِنَّهُ لقَوْلُ رَسولٍ كَريمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠].

٣ ـ وقوله جلَّ شأْنُه: ﴿فَلا أُقْسِمُ بمواقِعِ النُّجومِ. وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعلَمونَ عظيمٌ. إِنَّهُ لَقُرآنٌ كريمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧].

والآياتُ في البابِ كثيرةٌ، ودَعْنا نرى معاني الآيات الأخيرة: إنَّ العقولَ البشريةَ لا تعلمُ عظمةَ القسمِ بمواقعِ النجومِ، لأن معلوماتِها قاصرةٌ بالنسبة إلى الكونِ إذا ما قورنت

بباطنِ الوجودِ، لأنَّه توجدُ أشياء كثيرةٌ تخفى على الحسِّ والبصَرِ والفؤادِ، حتى لكأنَّما يعيشُ الإنسانُ على هوامشِ حقائقَ ليسَ لها قرارٌ، فالإنسانُ لا يَرى الا ظواهرَ الأمورِ أما بواطِنُها فَعَنْهُ محجوبةٌ، إذْ لو تَجَّلت لهُ الأمورُ على حقيقتها لعرفَ مقدار جهلِهِ، ومَنْ أصدقُ من الله قيلا؟ ﴿**وَما أُوتيتُم مِنَ العِلم إلاّ قليلاً**﴾ [الاسراء: ٨٥].

والإنسانُ في ذلك مَعذورٌ، فحواسُهُ قاصرةٌ عن إدراكِ العوالمِ المثيرةِ التي تَمْتَدُّ أمامَهُ، كما أنَّ عقولَنا محدودةٌ فيما تستَوعِبُ وتُفَكِرُ، وأحياناً لا يُسْعفُنا الخيالُ في تصورٍ يُقَرِبُ لنا جوهَر الكَوْنِ، وطبيعةَ الوجودِ، فنُولي وُجوهَنا شطرَ القرآنِ، نقرأ، ونتدبرُ، ونستوعبُ، ونستبحر آياتِهِ ونستقصي معانيها.

اذهب إلى الخلاءِ في جنحِ ليلٍ بهيمٍ خالٍ من السُّحب، وانظر بِعيْنَيْكَ ترى آلافاً من البقع الضوئية تتناثرُ هنا وهناكَ في غيرِ نظامٍ، لكن على رِسْلِكَ فوراءَ البعثرةِ والتَشَتُتِ نظامٌ دقيقٌ لا يتجلى إلا لعيونِ العلمِ الجَبّارَةِ، التي تُوضِحُ للعينِ البَشريةِ ما خَفيَ عنها من أكوانٍ وآفاقٍ تَضِنُ بمعرِفَة عظمتِها على العقولِ.

إنّ العينَ البشريةَ لم تستطع أن تبلغَ أقاصِيَ الكونِ رؤيةً، والعقول الانسانية لم تحط بأسرارِ الوجودِ إدراكاً، وإن

حصيلتَنا ما زالت دون ما نريد، فما خَفِيَ على الإنسانِ أعظمُ وأكثرُ وأَروعُ من كلِ ما عَلِمَتْهُ الأجيالُ السابقةُ والمعاصرةُ، فالوجودُ المرصودُ ما زال غامضاً، كما أنَّه أغربُ مما يتخيلُ الباحثونَ، إن حقائِقه المخفيةَ لم تَخْطُر على قلب بشر، ولقد ظنَّ بعضُ الباحثين أن العلوم كلما أينَعت ستقرِبُنا إلى حقيقةِ الفضاءِ الضَّخْمِ، لكن العكس صحيح.

لأنَّنا كُلَّما تَعمقَنا كَثُرَت أمامَنا المتاهاتُ وعلاماتُ الاستفهامِ، وبَدَت علينا أَماراتُ التعجب، إنَّ قدراتَنا تتضاءل أمامَ طوفانِ الحقائقِ الكَوْنيةِ التي تَمتَدُ أمامَنا، ولكن ستفتُح لنا نافذةً للنظرِ إلى مَلكوتِ الله بواسطةِ أجهزةِ الرصدِ الهائلَةِ، وإنَّني على يقينٍ أنَّنا عِندما نرى أعماق الوجودِ رؤيةَ العينِ، فإنَّ القلوبَ ستخشعُ، والعقول ستركعُ، والأبصارَ ستزيغُ، وحينئذٍ لا نَجدُ تعبيراً أروع من القسمِ الإلهي: ﴿وإنَّه لَقَسَمٌ لو تَعْلَمُونَ عظيمٌ﴾ ولا أدق من الوَصفِ الربانيِّ: ﴿الذي خَلَقَ سَبْعَ سماواتٍ طباقاً ما ترى في خَلْقِ الرَّحمن من تفاوُت فارجع البَصَرَ هل ترى مِن فُطُورٍ. ثُمَّ ارجعِ البَصَرَ كَرَّتين يَنْقَلب إليْكَ البَصَرُ خاسئاً وهو حَسيرٌ. ولقد زيَّنَّاالسَّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وجَعَلْناها رُجومَاً للشَّياطينِ وأعتدْنا لَهُم عَذَابَ السَّعيرِ﴾ [الملك: ٣-٥].

وهاك أيها الباحثُ عن الحَقِّ عجالةً مما توصلَ إليه العلمُ حولَ النجومِ الضاربةِ في أطنابِ الكونِ، لِتدركَ عظمةَ القسَمِ الإلهيِّ على صحةِ القُرآنِ، وسترى المسافاتِ الهائلةَ التي تقعُ عليها مِنا، فالمسافة التي استطاعَ أن يصلَها الإنسانُ تبدو بمعايير الأرضِ انتصاراً عظيماً، لكنها بمقاييسِ الكَونِ لا تكادُ تُذْكَرُ، فبيننا وبين القمرِ مسافة لا تَقِلُّ عن (٢٤٠ ألف ميل)، مسافة لا شَكَّ هائلة لكنها بمعاييرِ الوجود جِدُّ قصيرة.

إن المسافاتِ الكونيةَ لا تقاسُ عادةً بالأميالِ والفراسخ فليست لعقولِنا قدرةٌ على إدراكها لأنَ الأرقامَ ستصبحُ فيما وراءَ الخيالِ، ولهذا دعنا نبحثُ عن وحدةِ قياسٍ جديدةٍ «الثانية الضوئية» وهي وحدة قياسٍ كونية، وتساوي المسافة التي يقطعها شعاعٌ من الضَّوءِ في الفضاءِ في ثانيةٍ واحدةٍ، وسرعةُ الضَّوءِ أكبرُ سرعة عرَفها بنو البَشَرِ، وهي ثابتة سواء كان الضَّوءُ سائراً في الفراغ أو وسطٍ ماديٍّ، وتعادلُ (١٨٦ ألف ميل) بالقياسِ الأرضي، وعلى ذلك تكونُ المسافةُ بيننا وبينَ القمرِ (ثانية وثلث) بالقياسِ الكونيِّ، إذن فالقمرُ ضاحيةٌ من ضواحي الأرضِ، فلا يغترُ الانسانُ فهو لا يزال في قعرِ الفضاءِ: ﴿**يا أيُّها الإنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم. الذي خَلَقَكَ فَسوَّاكَ فَعَدَلَكَ. في أيِّ صورةٍ ما شاءَ رَكَّبكَ**﴾ [الانفطار: ٦-٨].

والمسافة بيننا وبينَ الشمسِ (٥٠٠ ثانية ضوئية) أي (٩٣ مليون ميل)، فإذا امتَدَّت أبصارُنا إلى أطباقِ السَّماءِ إلى مجَرَتنا التي سَمّاها المُسلِمون الأَوَلون «الطريق اللبني» أو «درب التبانة»، وقطر هذه المجرة (١٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية) ولنركب طبقاً آخر فإلى مجرةِ «المرأة المسلسلة» التي تبعد عنا (٧٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية) ولقد اتسعت أبعادُ السماءِ أمامَنا حتى وصلت في ظِلِ «الفلك الراديوي» إلى حدود (٢٠ ألف مليون سنة ضوئية) حيثُ كشفَ أجراماً تسمى «أشباه النجوم» على أبعادٍ سحيقة، ثم إنَّها ما زالت تَبْتَعِدُ في فضاءِ الله الفسيحِ بسرعةٍ: ﴿ **والسَّماءَ بَنَيْناها بأيْدٍ وإنّا لموسِعونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٧].

لا ريبَ أنّ هذا القرآن أَنْزَلَهُ ربُ هذهِ العوالمِ الكثيرةِ المثيرةِ التي لا يحيطُ بها علماً وإدراكاً وتدبيراً الا خالِقُها: ﴿**والله مِن ورائهم محيطٌ. بل هو قرآن مجيدٌ. في لوحٍ محفوظٍ**﴾ [البروج: ٢٠-٢٢].

ولا شَكَّ أن هذه الآياتِ التي بينَ دفتي المُصحفِ من آياتِ خلودِه، وإعجازِه وعمومِه لكلِ الناسِ، وأَنَّه آخرُ كتابٍ أُنزِلَ لِهدايَةِ البَشَر.

وهذا الوجهُ من الإعجازِ الرصيد الإلهي العالم بالغيب، الذي أرشد إليه في قوله: ﴿**قُل أَرَأَيتُم إن كانَ مِن عندِ غير الله**

ثُمّ كَفرتُم بهِ مَن أَضلُّ مِمن هُوَ في شِقاقٍ بَعيدٍ . سَنُريهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أَنْفُسِهِم حَتّى يَتَبَيَّنَ لهمْ أنَّهُ الحَقُّ أوَ لَمْ يكفِ بربك أنه على كلِّ شيءٍ شَهيدٌ﴾ [فصلت ٥٢ـ٥٣] .

وفي قوله : ﴿وَقُل الحَمدُ لله سَيُرِيكُم آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَمَا ربُّك بغافِلٍ عمّا تَعْمَلُون﴾ [النمل : ٩٣] .

أما آن لأمَّةِ التَوحيدِ أن تأخُذَ الكتابَ بقوةٍ واعتزازٍ وتَعرِضَ ما فيه على البشرية لتهدي به لعلها تخرجُ مِن الظُّلماتِ إلى النّورِ ، ويومئذٍ ستخرجُ الدعوةُ الإسلاميةُ من القُمْقمِ الذي وَضعها فيه المُتعصبون المُقلدون لتكونَ للمتقين إماماً ، وحينئذٍ ستكونُ الأمةُ الإسلاميةُ خيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للناسِ ، وقلبَ البشريةِ الخافقَ بالإيمانِ والعِلمِ الذي يهدي للتي هي أقومُ ، وللخيرِ الذي يوصلُ من اتبعَ رُضوانَه جناتِ النعيم .

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِ العالمين

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرست

المقدمة ٣
أصح وثيقة في التأريخ ٥
تنزيل من رب العالمين ٧
منهاج ومعجزة ١٤
القرآن والعلم ١٧
الخاتمة ٢٦
الفهرست ٢٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الثمن ٢٠٠ فلس

طباعة شركة المطابع النموذجية
تلفون ٨٩٢٧٤٠ ـ عمان / الاردن